فلسطين على موعد مع الشهر الفضيل

توالت أحداث فلسطين الجريحة فعمت أرجاءها وكأنها كانت على موعد مع أواخر الشهر الفضيل.

الشرارة بدأت من أزقات قدسها الجريح ومن حي الجراح وعند تخوم المسجد العمري وفي باحاته الممتدة التي غاصت هذه المرة بأعداد المصلين أضعافا مضاعفة نكاية بالصهاينة وفعلتهم الشنيعة لاستيلائهم القسري على قرابة ثلاثين دارا وتهجير أهليها وهذا ديدن الصهاينة عبر سلسلة جرائم التهجير القسري وتهديم الدور وإخلائها من ثم مسحها من خارطة القدس القديمة وتضييع معالمها وترحيل من تبقى من أهلها إلى مواقع خارج القدس أمام مرأى العالم ومسمعه ومنتداه ومجمعه.

الشرارة كانت من القدس ومن عموم الضفة ومعها سقطت الحواجز الأمنية المكبلة لكل حراك مقدسي المسلوب حريته على مر الأعوام ومن رجالات المنظمة قبل الصهاينة.

الإستجابة لأهل الضفة كانت فوق تصور الصهاينة ووضعت منظمة التحرير أمام أكبر مأزق تاريخي لاسيما عندما هب السكان العرب في الخط الأخضر للأراضي المحتلة عام 1948.
ومع دخول أهل غزة بجانب إخوتهم فقد بدأت المعركة تأخذ منحى تصعيديا فاجأت العدو بالصمود والتصدي وبالصليات التي وصلت في قلب تل أبيب وخرجت من حواضنهم الطائرات المسيرة خرقت جدار الصمت ومع معارك دامت أحد عشر يوما فإنه ولأول مرة يعلن فيها الصهيوني وقفا لاطلاق النار من طرف واحد وهذا لم يحصل في تاريخ كل معاركه التي خاضها في حروبه النظامية وغير النظامية.
هذا تطور لافت غير مسبوق.

ومع اليوم السابع من المعركة فإن الصهيوني قد بدأت تتضارب أقوال قياديه عن عدد خروقات الصواريخ لقبته الحديدية كما وأنه بدا وكأنه يستشعر بالهزيمة ويلقي باللوم على متسببي أحداث الضفة بإخراج المقدسيين من بيوتهم وكأنه عمل فردي جاء عبر مستوطنين.

كانت الصواريخ تصيب الأهداف المعلنة مقدما ويُعد ذلك تغييرا في قواعد الإشتباك لدى الخبراء الإستراتيجيين ومعه بدأ نوع من توازن الرعب يدخل حيز الواقع الفلسطيني لأول مرة الأمر الذي سيقلق مضجع الصهاينة الذين باتوا أمام مأزقين الأول من الشمال وتحديدا من تنامي قوة حزب الله والآخر من نفس الأراضي الفلسطينية المحتلة التي دخلت مع العدو في معركة مفتوحة فهزمته ولو مرحليا.

والأمر الذي سوف يعيد العدو معه كل حساباته وتقديراته ولن يتأخر هو أن منظمة التحرير الفلسطينية لم تعد ظهيره المساند الحافظة على منظومته الأمنية ونعلم تمام العلم بأن المنظمة ومنذ انخراطها في اتفاقيات أوسلو فإنها قد تماهت مع أهداف العدو الأمنية وباتت حريصة بأن لايسقط هذا الأمن فهو من أمن كيان موهوم على بعض الأراضي المحتلة عام 1967 الأمر الذي بات بعيد المنال مالم يكن قد انتهى منذ أمد.

القرار الفلسطيني:

اليوم قد حقق الفلسطينيون نقلة كبرى في معركتهم الأخيرة وقد تكاتفت كل فلسطين سوية ومن غير تحيز لطرف دون آخر.
جميع الطيف الفلسطيني كان حاضرا في قلب المعترك دون تمييز.

الجميع قد أدرك بأن المعارك الآتية وقد تكون كبيرة وعظيمة بأن هذه المعارك ومهما كان الخارج داعما وسندا لها فإن قوة القرار الفلسطيني يعتمد على داخله وأن على الفصائل الفلسطينية أن تحرر تبعيتها للخارج وقد ثبت الواقع بأن القضية الفلسطينية وهي لأنها مرتبطة بالأنظمة لاسيما العربية منها فإن قرارها سيكون مرهونا بيد هذه الأنظمة ولن تستطيع هذه الأنظمة التحرر من هيمنة القوى الصاغطة شرقا وغربا ومن غير مواربات وبالتالي فإن تحررها من الصهاينة ومع هذا الإرتباط خرط قتاد (مستحيل) وأقولها بما أفهم من واقع الدول في ظل نظام عالمي مهيمن والمنطقة جزء من هذا الواقع مالم تجري الأمور على غير مجاريها.

مشكلة الفلسطينيين وعبر تاريخ نضالهم أنهم خاضوا معارك بينية أوهت من قواهم وحرفتهم عن بوصلتهم وما أحداث الأيلول الأسود عام 1970 إلا جزءا من الإحتراب البيني ثم تلتها الحرب الأهلية اللبنانية فكانوا هم وقودها ثم ومع وقفة سوريا معهم واحتضانها لكبريات فصائلهم فقد ألبوا عليها وقلبوا عليها المجن واستخدموا السلاح الذي أعطوها لحرب عدوهم فحولوه حرابات في صدور من وقفوا معهم ودعموا أواصرهم.

لابد وحتى يخوض الفلسطينيون معركتهم التحررية بأن يدركوا أن الأنظمة التي تساندهم هي ذاتها تخضع لهيمنة تساند الصهاينة وهي التي زرعتها في جغرافية سياسية لاتزال تشكل عصب مصالحها وأن أمن الصهاينة من أمنها.

د علي محمد سلطان

25/5/202